جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

تأثير إشكالية الهوية والتعددية الثقافية في نقد فنون الأطفال

(دراسة نقدية)

The Impact of Identity Problems and Multiculturalism in Criticizing Children's Arts

(Critique Study)

إعداد

إسراء عبد الفتاح حسين

باحثة ماجستير

ملخص البحث:

يعد الاهتمام بالطفولة واحداً من المعايير الهامة التي يقاس بها مدى تقدم الأمم والاهتمام بطاقاتها البشرية، والتي تعد بدورها المؤثر الأول لإحداث التنمية الشاملة لأمتها؛ لتتبوأ مكاناً مرموقاً بين دول العالم، وإن رسوم الأطفال الخاصة بكل شعب لابد أن نجد فيها مميزاتها وسماتها الخاصة التي تنفرد بها عن رسوم شعب آخر، وفي هذه الآونة الاخيرة ومع ظهور الثورات والتغيرات الحادثة نجد تزعزع في المفاهيم والقيم المجتمعية ومن خلال دور رسوم الأطفال في رصد الأحداث والتأثر بها حيث تكوين الثقافة العامة للطفل من خلال البيئة المحيطة به فمن الممكن أن يؤثر ويتأثر بالثقافة العامة لوطنه وبيئته.

فمع نهايات القرن العشرين، شهدت المجالات الثقافية تغيراً جذرياً يستوعب في مضمونه جميع الثقافات العالمية والمحلية، لينشأ مصطلح التعددية الثقافية الذي أثر في جميع المجالات الحياتية، وعلى رأسها الفن، وغدت تحتاج إلى إيجاد طرق للتوفيق بين متطلبات الوحدة والتنوع، وبطبيعة الحال يتأثر الأطفال بتلك التغيرات باعتبارهم جزء أساسي من بنية المجتمع ومادة خام لتشكيل ثقافة المستقبل، ولذلك أجريت كثير من الدراسات النظرية والتجريبية في رسوم الأطفال، كان أغلبها يتجه – خاصة في بادئ الأمر– إلى الناحية السيكولوجية، التي تهدف أساساً للتعرف على طبيعة مراحل النمو عند الأطفال، وعلاقتها بتطور رسومهم، وقد ساعد ذلك على إيجاد حافز لدراسة هذه الرسوم من الناحيتين الجمالية والفنية، وهو ما أدى إلي ضرورة إيجاد لغة نقدية لفنون الأطفال تسهم في تقدير قيمة الهوية والتعددية الثقافية لهذا الشكل من الفن.

Abstract:

Attention to childhood is one of the important criteria by which to measure the progress of nations and attention to their human energies, which in turn is considered the first influencer to bring about the comprehensive development of their nation to occupy a prominent place among the countries of the world. Drawings of another people, and in recent times and with the emergence of revolutions and changes taking place, we find destabilization in the concepts and societal values and through the role of children's drawings in monitoring events and being affected by them, where the formation of the general culture of the child through the environment surrounding him can affect and be affected by the general culture of his country and his environment.

At the end of the twentieth century, the cultural fields witnessed a radical change that accommodated in its content all global and local cultures, so that the term "cultural pluralism" was established, which affected all areas of life, especially art, and needed to find ways to reconcile the requirements of unity and diversity, and of course children are affected by these changes As they are an essential part of the structure of society and a raw material for forming the culture of the future, therefore, many theoretical and experimental studies were conducted in children's drawings, most of which were directed - especially in the beginning - to the psychological aspect, which aims mainly to identify the nature of the stages of development in children, and its relationship to the development of their drawings. This helped create an incentive to study these drawings from an aesthetic and artistic point of view, which led to the necessity of finding a critical language for children's arts that contributes to an appreciation of the identity and cultural plurality of this form of art.

خلفية المشكلة:

شهدت المجالات الثقافية وبخاصة الفنون التشكيلية مع نهايات القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة تغيرا جذريا يستوعب في مضمونه جميع الثقافات العالمية والمحلية، لينشأ مصطلح التعددية الثقافية الذي أثر في جميع المجالات الحياتية، وعلى رأسها الفنون التشكيلية، حيث أننا نعيش الآن حضارة كونية واحدة، وأنها ليست أكثر من قشرة تغطي التنوع الكبير في الثقافات، في الشعوب، في عالم الأديان، في التقاليد التاريخية والاتجاهات التي تشكلت على مر التاريخ[١]. وكانت هذه التعددية هي المحرك الحقيقي للتحول في المفاهيم الجمالية والقيم الفنية، فأصبح الفن عالمياً في مقابل الطراز الدولي والنمط الشخصي.

و مع حدوث حركة دمج في العالم بداخل كل المجتمعات، وارتباط كل زوايا العالم بتقابل الثقافات، التي استمدت حيويتها من التطور العلمي والتكنولوجي المستمر، ومن تقدم وسائط نقل المعلومات والاتصالات التي وحدت العالم، هذا التوحد الذي كان له أثر عظيم في فكر الكثير من الفنانين، وفي محاولات العديد منهم للخروج عن الإطار التقليدي إلى مواكبة العالمية، والتعبير عن أفكار جريئة مستمدة من الآفاق المستحدثة في الفن المحلي وما هو وارد "وانبعثت تصورات نظرية ومنطلقات منهجية تتواكب مع ما يحدث من تغير في ثقافات الشعوب، لتنشأ المفاهيم الفنية والجمالية وتنمو وتطور في مسارات مختلفة وفق الظروف البيئية والتاريخية، ليتبلور التعبير عن الإنسان والمجتمع والثقافة على أنها مجموعة من العلاقات والنظم، وانعكاس لما يتصوره الفنان عن ثقافة المجتمع من خلال منهج إبداعي، للكشف عن الجوهر الموضوعي، مستخدماً في ذلك أشكالاً عامة ذات دلالات أخضعها للتعبير عن معنى الواقع، فدائما كان الفن على صلة وثيقة بالعصور التي نشأ فيها، ورغم استقلال الفن بشكل متزايد، فإننا لا نعثر على أي تصوير فني مستقل تماما عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة له[٢].

كذلك، تغيرت المعايير الجمالية لتتواكب مع ما أتى به العصر من ثقافات شاملة ومتباينة مثل تغير القيم، ومنها على سبيل المثال[٣]:

١. التنوع الشكلي والمعالجات التبسيطية المنسقة.
٢. الألفة بين المشاهد والعمل الفني.
٣. تصوير الحقيقة عن الحياة والمجتمع.

وكذلك كشفت نتائج الدراسات والابحاث التي أجريت في رسوم الاطفال، منذ أواخر القرن التاسع عشر، ومع مطلع القرن العشرين، عن الكثير من الحقائق الفنية المتعلقة بتعبيرات الأطفال من حيث الصفات والسمات الفنية التي تظهر في رسومهم، والتي تتميز بطابع جمالي خاص.

---

[1]. Samuel P. Huntington: 1996, "The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order", Simon and Schuster, New York.

[٢]. محسن محمد عطية: ٢٠٠٠، "الفنون والإنسان"، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٨.

[٣]. رحاب هارون: ٢٠١٧، "تغير قيمة التعددية الثقافية في نقد الحركة الفنية المصرية المعاصرة – دراسة نقدية"، رسالة ماجيستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص ٢٣.

ومنذ ذلك التاريخ أيضاً، ونتيجة للتحولات، والتطورات العلمية والصناعية الكبيرة، ولأثار الفكر الثوري الذي في الكثير من مفاهيم التربية والفن، والجمال، ظهر عدة أساليب جديدة في الفن التشكيلي، لكن لكل منها فلسفتها وطريقتها الخاصة في التعبير[١].

ومن هنا ظهرت مشكلة البحث حيث انه:

منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر، أجريت كثير من الدراسات النظرية والتجريبية في رسوم الأطفال، وترى الباحثة أن هذه الدراسات كان أغلبها يتجه – خاصة في بادئ الأمر – إلى الناحية السيكولوجية، التي كان من بين أهدافها التعرف على طبيعة مراحل النمو عند الأطفال، وعلاقتها بتطور رسومهم، وقد ساعد ذلك على إيجاد حافز لدى بعض العلماء، لدراسة هذه الرسوم من الناحيتين الجمالية والفنية، وهو ما أدى الي ضرورة إيجاد لغة نقدية لفنون الأطفال تسهم في تقدير قيمة الهوية والتعددية الثقافية لهذا الشكل من الفن.

ويمكن تلخيص المشكلة في التساؤل التالي:

- ما دور تقدير قيمة الهوية والتعددية الثقافية في نقد وتذوق فنون الأطفال في ضوء عرض بينالي الطفل الأول؟
- كيفية إيجاد لغة نقدية لدراسة فنون الأطفال من الناحية الجمالية والفنية؟

فروض البحث:

يفترض الباحث انه:

١. يمكن تمييز فنون الأطفال من خلال الهوية والتعددية الثقافيه لكل طفل.
٢. يمكن استخلاص سمات التعددية الثقافية من خلال دراسة الفن.
٣. امكانيه وضع نموذج للنقد الفني قائم على دراسة سمات التعددية الثقافية في فنون الأطفال.

أهداف البحث:

١. إعداد نموذج نقدي يتناسب مع تحليل الأعمال الفنية مختلفه الهوية ومتعددة الثقافات.
٢. استخلاص سمات التعددية الثقافية من خلال تحليل ناقد لمجموعة من أعمال الأطفال في بينالي القاهرة للطفل.

أهمية البحث:

١. تغيير نظرة الانحياز الثقافي ودعم مبدأ قبول الأخر وتعدديه الثقافة في الفن عموماً وفن الطفل خصوصاً.
٢. توضيح أثر اختلاف الهوية والتعددية الثقافية في فنون الاطفال بأسلوب علمي أكاديمي.
٣. تسليط الضوء على العوامل البيئة والظروف المحيطة وأثرها على فنون الاطفال.

[١]. أحمد عبدالحفيظ محمد: ١٩٧٧، "تأثير رسوم الأطفال في أساليب التصوير الحديث وأهمية ذلك في التربية الفنية"، رسالة ماجيستير، غير منشورة، قسم الرسم والتصوير، كلية تربية فنية، جامعة حلوان، ص ١.

حدود البحث:

تقتصر حدود البحث على ما يلي:

حدود موضوعية وهي:

- دراسة أثر اختلاف الهوية والتعددية الثقافية في فنون الأطفال في ضوء بينالي القاهرة الدولي للطفل في دورته الاولي بالتعاون بين وزارة الثقافة ممثلة في قطاع الفنون التشكيلية وجمعية امسيا للتربية عن طريق الفن.
- تطبيق الدراسة على عدد من أعمال بعض الأطفال من بقاع وثقافات مختلفة من العالم.

حدود مكانية:

- وتتحدد فيها حدود الدراسة في بينالي القاهرة الدولي في دورته الاولي، وذلك بقاعة العروض في مركز الجزيرة للفنون بالزمالك.

حدود زمنية:

- وتتحدد في الفترة من ٢ نوفمبر ٢٠١٩ حتي نهاية شهر نوفمبر ٢٠١٩.

منهجيه البحث:

يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

مصطلحات البحث:

الإشكالية:

الإشكالية هي سمة حكم أو قضية قد تكون صحيحة، لكن الذي يتحدث لا يؤكدها صراحة[١]، وكذلك قضية يمكن الإقرار فيها بالإثبات أو بالنفي، أو تحتمل النفي والإثبات معاً. والإشكالية أعم من المشكلة، فهي تتسع لكل المشكلات، والمشكلة جزء من الإشكالية، كما أن أسئلة الإشكالية أسئلة فلسفية معقدة، فكلما حاولت الإجابة عن سؤال تناسلت مجموعة من الأسئلة أكثر تعقيداً.

وإذا كانت الإشكالية هي المعضلة الفلسفية التي تترامى وتتسع أكثر وتنضوي تحتها المشكلات الجزئية، فإن المشكلة أقل اتساعاً من الإشكالي، ففي الإشكالية نضع على رأس كل قضية فلسفية أساسية، سؤالاً جوهرياً يقوم مقام الإشكالية، ثم نفصل السؤال الجوهري هذا إلى عدد من الأسئلة الجزئية، تقوم مقام المشكلات.

هذا فضلاً عن أن الإشكالية قضية تثير قلقاً نفسياً، وتشوشاً منطقياً، والباحث فيها لا يقتنع بحل أو بأطروحة أو بعملية من الأطروحات ويبقى مجال حلها مفتوحاً.

---

[١]. أندريه لالاند: ٢٠٠١، "موسوعة لالاند الفرنسية"، تعريب: خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت، الطبعة الثانية، باريس، فرنسا، ص ١٠٥٠-١٠٥١.

وعلى هذا الأساس تكون الإشكالية محتضنة لمختلف المشكلات، وإذا حددنا موضوع الإشكالية، عرفنا المشكلات التي تتبعها كما تتبع الأجزاء الكل الذي يحتضنه، والإشكالية تحتاج إلى أكثر من دراسة وتحليل، والتي تستوجب مقاربتها ومعالجتها أكثر من زاوية ومن وجهة نظر، فهي بمثابة المصدر، وفي مقابل ذلك نستعمل المشكلة باعتبارها القضية الجزئية التي تساعد على الاقتراب من الإشكالية.

الهويـــــة:

لم تصل المعاجم العربية إلى مفردة الهوية؛ فهي مفردة جديدة دخيلة على اللغة العربية، وأقرب مفردة إليها، من الناحية الصوتية هي(الهَوية): البئر البعيدة المهواة. هذا وقد وردت مفردة الهُوية، باعتبارها مفهوماً عند بعض المتصوفة؛ فقد ذكر "الشريف الجرجاني" صاحب كتاب التعريفات أن الهُوية هي: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، هذا التعريف مع أنه يصبغ على الهوية صبغة دينية إلا أنه يقبض على روح مفهوم الهوية؛ فابعاد الهوية تتأسس على حالة انطولوجية، إذ هي تجريد محض وخيال محض. أما معجم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، فقد عرّفها بأنها أحد أشكال العادة، أو نمط حياة ومنظومة قيم، أو مرجعية ذات شيفرة أخلاقية. وفي معجم مصطلحات الثقافة جاء تعريفها بأنها خيال يضفي نموذجا منتظما على التعقيد الفعلي والطبيعة الفياضة لكل من العوالم النفسية والاجتماعية، ويرتكز سؤالها على تأكيد مبدأ الوحدة والاستمرار في مقابل التعدد والتغيّر والتحول، وهي تمثل للجماعة أو الأفراد تعبيراً جوهرياً، أو خصائص ذاتية طبيعية تصدر عن التطابق مع الذات أو الفرد أو الكيان الجمعي المكتفي[١].

أما قاموس أكسفورد أحد مصادر تحديث تعريف الكلمات في المعاجم العربية الحديثة، فإنه يعرف الهوية بوصفها "حالة الكينونة المتطابقة بإحكام، أو المتماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق، والكينونة هنا تتعلق بالشيء المادي أو بالشَّخص الإنساني، وربما نستخلص من العبارات والأمثلة القليلة التي يوردها قاموس أكسفورد، أن الأمر يتعلق بالتطابق التام ما بين باطن الشيء وظاهره، أو بتماثل التجليات الظاهرة لأي كينونة مع جوهرها العميق، بلا انفصام أو انشطار مهما ضئل، بحيث تتبدى الهوية، في تراسل مع تعريفها الذي يقترحه الجرجاني أو المعجم الوسيط أو معجم أكسفورد، وفي توافق مع التعريف الصوفي لمصطلح "الهُوَ"، بوصفها مكونة من خصائص الشيء، أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تجعله مميزاً عن غيره تميزاً يكسبه فرادته وخصوصيته، ويحدد الصورة التي يحملها في نفسه عن نفسه، والتي ستؤثر، بطريقة أو بأخرى، في تحديد المنظور الذي سيعتمده لإحالة ذاته إحالةً موضوعية في العالم، والذي سيطل من خلاله على الآخرين ليرسم الصُّورة التي سيكونها في نفسه، ولنفسه، عنهم[٢].

وفي معجم مصطلحات الثقافة جاء تعريفها بأنها خيال يضفي نموذجا منتظما على التعقيد الفعلي والطبيعة الفياضة لكل من العوالم النفسية والاجتماعية، ويرتكز سؤالها على تأكيد مبدأ الوحدة والاستمرار في مقابل التعدد والتغيّر والتحول، وهي تمثل للجماعة أو الأفراد تعبيراً جوهريا، أو خصائص ذاتية طبيعية تصدر عن التطابق مع الذات أو الفرد أو الكيان الجمعي المكتفي. وتذهب بعض الدوائر إلى أن الهوية هي كل ما يعبر عن تفرد المجموعات، وما يمنعهم من الصراع الفكري أو العملي، ويسمح ببقاء الحدود التي تفصل بين الجماعة، ويترجم العلاقات المتبادلة بين الحقائق العضوية والحقائق الدينية والجمالية والسياسية وحقائق النسب؛ فهي عملية تنتج عن التفاعل بين الإنسان والمؤسسات

[١]. عبد العليم محمد إسماعيل: الهوية الثقافية، انظر: https://shorturl.at/fiprZ

[٢]. الثقافة والهوية، انظر: https://shorturl.at/jqJU5

الاجتماعية التي يعيش في إطارها. وتتسم الهوية بحالة من التعقيد في أبعادها وتأثيراتها؛ وتحديد المؤثرات التي تعمل على تشظيها، وذلك لأنها ترتبط بعدة محددات يصعب التحكم فيها، فمن أهم المحددات التي تجعل سؤال الهوية من أصعب الأسئلة:

١. التعدد: فالهويات ذات بنية تعددية، وأن أهمية هوية واحدة يجب ألا تتقاطع مع الأخريات، فيمكن أن يكون الفرد مواطنا سودانيا ومسلما أو مسيحيا، ويتحدث اللغة العربية، ويعمل في مهنة التدريس...إلخ. فالهوية حالة تشكلها عدة عناصر: الدين، العرق، اللغة، النسب، الأخلاق السائدة، التراكم التاريخي للخبرة الجماعية والذاتية...إلخ.
٢. الاختلاف: لا تتشكل الهوية لدى الذات إلا بافتراض وجود آخر مختلف في عدة أمور، ويوجد هذا الآخر حتى داخل الكيان السياسي الواحد؛ فإذا تحدثنا عن الهوية السودانية، مثلا، تبرز تقاطعات دينية وثقافية وإثنية تجعل مفهوم الوطن، باعتباره محدداً للهوية السياسية والقانونية، أمراً محل نزاع عنيف قاد إلى تشظي الدولة السودانية، فمفهوم الهوية يقوم، أساساً، على النظر إلى الفروق بين الذوات؛ وتحديد المسافات الفاصلة بين الذات والآخر؛ لذا فإن لم ينظر إلى الاختلافات باعتبارها تنوعا يثري الهوية فإنها ستنقلب إلى تناقضات تقود إلى حالات عنف مدمرة.
٣. السياقية الاجتماعية والتاريخية: تتأسس الهوية، على الدوام، في سياق اجتماعي تاريخي محدد. وبما أن الزمان يهرب على الدوام، والمكان يعاد تشكيله، والعلاقات تتغير– فإن استجابات الناس ومراكمة خبراتهم وتطور وعيهم يؤدي إلى تشعب التصورات والمسارات، الأمر الذي يقود إلى صراعات بسبب تعزيز المواقع، وبسبب الغبن الذي تؤدي إليه مجموعة من المارسات الاجتماعية والسياسية والقانونية الخاطئة؛ لذا لا بد من دور ملحوظ للسلطات الممثلة للأمم في اتخاذ مجموعة إجرائات تربوية وقانونية وسياسية وتنموية تؤدي إلى تحويل التناقضات إلى تباينات تصب في مصلحة الكثرة والتعدد مع الوحدة. هذا ويمكن أن تكون الهوية نواة لروابط متينة تساعد على تماسك النسيج الاجتماعي؛ لذا نجد أن معظم الدول قد ضمنت بنودا، في قوانينها ودساتيرها، تتناول قضية الهوية. كما نجد أنّ كبار صناع التاريخ والسياسيين يحافظون على الهوية باعتبارها روابط حاسمة في تشكيل أفراد يتسمون بالتماسك الذاتي؛ ويمتلكون هويات أنضجتها صيرورة تاريخية محددة. ومن جهة أخرى فإن الهوية قد تحمل بعداً مظلماً يقود إلى دمار هائل، فبعض الهويات تتعمد خلق الفواصل والحدود لكي تنأى بنفسها من التهديدات المتخيلة، وفي بعض الأحيان تتحول الهوية إلى حالة من العجب والإحساس بالسمو والنقاء؛ فتصبح حالة عدوانية .فالهوية حالة إحساس جمعي يرتكز على مبدأ الوحدة، ثم يأتي التتابع والاستمرارية باعتبارهما محدداً ثان. إلا أن منطق الهوية، دائما، ينشد الكمال وتماسك الذات الجمعية، ويأتي تشكيل التصورات الجماعية بوصفها كيانا منسجما ومتجانسا؛ مشكلاً ما يعرف بالأمة ذات الأهداف والدوافع المشتركة؛ وغالباً ما يتشكل هذا التصور من مفهوم العائلة القومية والجسد الواحد والدم المشترك والوطن الجماعي؛ والإحساس بوحدة الثقافة والعقيدة، والاعتقاد بتواصل التاريخ والأجيال والقوة الأخلاقية للتراث والثقافة[١].

جاء ايضاً، ان مفهوم الهوية الثقافية – الاجتماعية: الهوية في اللغة: كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضافًا إليه ياء النسب، لتدل على ماهية الشخص أو الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها...، وتعرف

[١]. عبد العليم محمد إسماعيل، الهوية الثقافية، انظر: https://shorturl.at/fiprZ

الهوية بمعنى "التفرد"؛ فالهوية الثقافية تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك، وميول وقيم، ونظرة إلى الكون والحياة، إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية. ويعرفها آخرون بأنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، والهوية كيان يصير ويتطور، وليست معطى جاهزًا ونهائياً، فهي تتطور إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضاً باحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الأخرى[١].

التعددية الثقافية:

تعريف ومعنى تعددية في معجم المعاني الجامع (معجم عربي–عربي)[٢]:

١. تَعَدُّديّة (اسم):

- اسم مؤنث منسوب إلى **تعدُّد.**
- مصدر صناعي من **تعدُّد:** التَّعدُّديَّة الثقافيَّة.
- (الفلسفة والتصوف) مفهوم ينادي بأن هناك عدة أنواع من الواقع والحقيقة مع ضرورة قبول الأنماط الثقافية والجنسية والعرقية والدينية القائمة بين مختلف الجماعات الإنسانية.
- (السياسة) نظام سياسي قائم على تعايش الجماعات المختلفة والمستقلة في الإدارة مع تمثيلها في الحكم.
- التعددية الحزبية: اعتماد عدة أحزاب سياسية في دولة ما.

٢. عَدَد (اسم):

- **العَدَدُ:** مِقدار ما يُعَدُّ، ومَبْلَغُهُ والجمع: أَعْدَادٌ.
- الأعداد: نتيجة تقدير الكميّة بالوحدة، مقدار ما يُعَدّ **عدد** القوّات المسلحة / مواليد القاهرة / السكان.

يوجد التنوع الثقافي في المجتمعات منذ زمن طويلة، فعلي سبيل المثال لقد كانت في اليونان القديمة مناطق صغيرة متنوعة في ازيائها، لهجاتها وهواياتها، ومثال ذلك أولئك الذين ينحدرون من مناطق إيتوليا، لوكريس، دوريس، إيبروس، وكان يشكل المسلمون في الإمبراطورية العثمانية الغالبية مع وجود أقليات مسيحية، يهودية، وثنية، عرب ومجموعات دينية أخرى، ظلت المجتمعات متنوعة ثقافيا في القرن الواحد والعشرين حيث يوجد في معظم البلدان خليط بشري من اعراق وخلفيات لغوية وانتماءات دينية مختلفة الخ. وصف المنظرون السياسيون المعاصرون هذه الظاهرة المتمثلة في التعايش بين الثقافات المتنوعة في البقعة الجغرافية نفسها بفضاء التعددية الثقافية، أي أن أحد معاني التعددية الثقافية هو التعايش بين الثقافات المختلفة.

---

[١]. الثقافة والهوية، انظر: https://shorturl.at/jqJU5

[٢]. معجم المعاني الإلكتروني، انظر: https://shorturl.at/bjsIK

لم يستعمل مصطلح التعددية الثقافية لوصف مجتمع متنوع ثقافيا فحسب، لكنه يشير الى نوع السياسة التي تهدف إلى حماية هذا التنوع الثقافي أيضاً. فعلى الرغم من أن التعددية الثقافية ظاهرة لها تاريخ طويل وكان هناك بلدان عديدة اعتمدت سياسات التعددية كالإمبراطورية العثمانية، لكن لم تزدهر الدراسة المنهجية للتعددية الثقافية في الفلسفة إلا في نهاية القرن العشرين، عندما بدأت تلقى اهتمام خاص من قبل الفلاسفة الليبراليين، وكان دور الفلاسفة الكنديين بالتحديد كبيراً في ذلك، لكنه أصبح موضوعاً شائعاً في الفلسفة السياسة المعاصرة في القرن الحادي والعشرين[١].

تم تعريف مفهوم التعددية الثقافية، ضمن الفلسفة السياسية المعاصرة، بطريقتين مختلفتين، حيث أستخدم مصطلح "التعددية الثقافية" في بعض الأحيان كمفهوم وصفي للمجتمع يشير هذا المصطلح لوصف المجتمع عندما تكون هناك ثقافات مختلفة ومتعايشة. وأحياناً أخرى عرف على انه نوع من سياسة تستجيب للتنوع الثقافي، وتمتاز هذه السياسة بصفتين: الأولى، تهدف الى تلبية المطالب المختلفة للجماعات الثقافية، وثانيا تشير التعددية الثقافية أيضا الى مسألة إعادة التوزيع بصورة عرضية، فتهدف سياسات التعددية الثقافية، الى إعادة تصحيح كل المساوئ التي يكون الافراد ضحية لها، والتي تنتج من الهويات الثقافية لهؤلاء الأفراد ربما تهدف هذه السياسات، على سبيل المثال، الى تصحيح المساوئ الناتجة من كون الأفراد ينتمون إلى مجموعات معينة.

يرتكز المصطلح اساسا على وجوب الاعتراف بالثقافات والهويات الدينية والقومية المختلفة، والاحتفاء بها بوصفها وسيلة ناجحة لتعزيز تماسك المجتمع، وتعرف التعددية الثقافية بأنها نظرية وسياسة في التعامل مع التنوع الثقافي، بحيث تستند إلى فكرة انقسام السلطة ما بين الجماعات الثقافية في مجتمع ما، وعلى اساس المساواة والعدالة الثقافيتين، والاعتراف رسميا بكون تلك الجماعات متمايزة ثقافيا، ومن ثم تطبيق ذلك علميا من خلال سياسات معينة تميل إلى مساعدة تلك الجماعات والتعزيز من تمايز كل منها ثقافيا؛ "فالتعددية الثقافية من حيث كونها نظرية سياسية، هي بمثابة اعتقاد أو ربما فرض يحاول دعاته خلق أغوار جديدة تتناول المرجعية الفكرية للدولة بالتعديل أو التغيير بما ينسجم وطبيعة التنوع الثقافي للمجتمع"، أما من حيث كونها سياسة – وهي عادة ما تعرف بتسمية (سياسة التعددية الثقافية)، فهي من قبيل آليات عمل تهدف إلى معالجة الحرمان بشكل عام[٢].

وقد تنوعت تعريفات التعددية الثقافية، فهي تستخدم في الأنثروبولوجيا للدلالة على "جماعات تختلف أنماط الحياة لدي كل منها اختلافا شاسعا عن غيرها، أما في العلوم السياسية فتستعمل للتعبير عن جماعات لها فوارق أو خصوصيات ملحوظة تعيش في مناطق جغرافية محددة، وتشكل هذه الخصوصيات قاعدة لقوتها السياسية، وفي علم الاجتماع تشمل التعددية الثقافية في رغبة بعض الجماعات في المحافظة على أوجه الشبه القائمة بين أفرادها لاعتقادهم أن الصفات والقيم والمعتقدات المشتركة تشكل مصدر شعور الأفراد بالفخر والثقة بالنفس، والصحة العقلية والتماسك .ويجب ألا نخلط بين التعددية الثقافية ومجرد الاعتراف بوجود مجتمع متعدد الثقافات. لقد وجدت دائما، مجتمعات متعددة الثقافات، ويمكن من وجهة نظر ما، أن نؤكد عمليا أن كل الدول الأمم، سواء اعترفت بذلك أو لم تعترف، هي مجتمعات ذات تعدد ثقافي، بفعل تنوع المجموعات والسكان المكونين لها؛ إنها مطالبة باعتراف سياسي رسي بالتعدد الثقافي، وبمعاملة يومية عادلة لكل الجماعات الثقافية.

---

[1]. Luí s Cordeiro Rodrigues: 2014, "Multiculturalism", Internet Encyclopedia of Philosophy.

[٢]. رحاب هارون: مرجع سابق، ص ٨-٩.

إن مبدأ التعددية الثقافية يحرص على الاهتمام والاحترام في تنوع وجهات النظر الثقافية، ويمكن تطبيقه على أي مكان يضم جماعات بشرية مختلفة من حيث الشرائع والثقافات، والقوميات والأجناس، والأعراف والأفكار، والتيارات والطروحات، ضمن إطار تنظيمي اجتماعي و قانوني وسياسي؛ يضمن منع تعدي أي فئة على الأخرى، ويمنحها حق المواطنة[١]، ويميز إعلان اليونيسكو بين مفهومي (التنوع) و(التعددية الثقافية)، حيث يشير إلى أن التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي، وفي إطار مجتمع ديمقراطي فإن التعددية يجب أن تكون استراتيجية واعية، ليس فقط لضمان الاعتراف بالتنوع، لكن أيضا التنظيم وفق مبادئ حقوق الإنسان. وتعرف التعددية الثقافية بأنها نظرية وسياسة في التعامل مع التنوع الثقافي، بحيث تستند إلى فكرة اقتسام السلطة ما بين الجماعات الثقافية في مجتمع ما، وعلى أساس المساواة والعدالة الثقافيتين، والاعتراف رسميا بكون تلك الجماعات متميزة ثقافيا، ومن ثم تطبيق ذلك عمليا من خلال سياسات معينة تميل إلى مساعدة تلك الجماعات والتعزيز من تمايز كل منها ثقافياً[٢]. وتستخدم التعددية بصفتها مفهوماً عاماً يصف ظاهرة طبيعية قائمة وواقعة في كل المجتمعات، لكن التعددية تمتلك وجها آخر من حيث كونها مصطلحا، فهي تصور لحقيقة وجود التباين والتنوع والاختلاف، وضوابط الافتراق والاتفاق، والتعامل مع هذا التباين وكيفية تنظيم المجتمع على أساس ذلك، والتعايش السلمي في ضوء حتمية وجود هذا التنوع والتباين .والتعددية بصفتها مفهوما هي فوق مستوى الرد أو النقد أو الطعن فيها؛ كونها ثابتة، بخلافها مصطلحا؛ فهي تتأرجح بين القبول والرد، والطعن والتشكيك في منطلقاتها وأهدافها[٣].

متن البحث:

تعد قضية الهوية قضية إشكالية، فهي محددة، وبشكل حاسم، لطبيعة العلاقة مع العالم الداخلي والخارجي؛ فبناءً على التصورات الاعتقادية حولها يتحدد مسار الجماعة وتعاطيها مع الحياة الداخلية للذات ومع الآخر في ذات الوقت.

وتكمن إشكالية الهوية الثقافية في كونها تنطوي على مضاف (الهوية) ومضاف إليه (الثقافة)، وكل منهما يشكل قضية جدلية معقدة؛ ويزيد من تعقيدهما تلبسهما بالديني والسياسي والآيديولوجي والتاريخي واليومي...إلخ[٤].

مما لاشك فيه أن الهوية الثقافية تشكل لأي مجتمع الإطار النفسي والفكري العام الذي يعبر عن وجوده الاجتماعي؛ فلكل أمة من الأمم ثوابت تمثل القاعدة الأساسية لبنائها، وفي طليعة هذه الثوابت تأتي الهوية باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت، وهي نتيجة للتفاعل بين مجموعة من العوامل الفكرية والمعرفية، التي تحكم سلوك أعضائه، وتوجه حركتهم، وتحدد لهم مساراتهم المتعددة في الحياة، ووعيهم، وطبائعهم وأمزجتهم، وتصوراتهم عن الكون والوجود، ومعايير السلوك، ونظام القيم واجب الاتباع، ومن هنا تأتي أهمية التربية على الهوية أو التربية من أجل

---

[١]. صابر أحمد عبد الباقي دكروري: ٢٠٠٩، "المواطنة في إطار التعددية الثقافية"، انظر: shorturl.at/cqtSZ

[٢]. حسام الدين علي مجيد: ٢٠١١، "إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر - جدلية الاندماج و التنوع"، مركز الدراسات العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ص ٤٦.

[٣]. رحاب هارون: مرجع سابق، ص ٢٩.

[٤]. عبد العليم محمد إسماعيل، الهوية الثقافية، انظر: https://shorturl.at/fiprZ

تعزيز الهوية الثقافية والاجتماعية، من أجل مواجهة ما تفرضه العولمة – خاصة في شقها الثقافي – من تحديات للأمة[١].

أما بالنسبة للأطفال، فيولد الطفل على الفطرة ليس له فكر أو لغة أو معتقد، لا يستطيع التمييز بين الأشياء، معارفه لازالت في مهدها، حواسه تبدأ في تلقي الخبرات عضلاته لم تتمرن ومشاعره لم تتضح انفعالاته لم تحدد بعد، ثم تأتي التربية بوسائلها المختلفة المقصودة والغير مقصودة لتشكل عقل الطفل ووجدانه وتصيغ سلوكه لتجعل منه إنسانا متكاملا.

هنا يلعب الفن دورا مؤثرا في حياة الطفل، وخاصة التعبير الفني بالرسم، فالرسم بمثابة اللغة التي يتواصل بها الطفل مع الآخرين حينما لا يستطيع التحدث باللغة اللفظية لينقل لنا أفكاره وأحاسيسه وانفعالاته. فالرسم معنى عقليا أكثر منه معنى جماليا فهو لغة لمن يعانون من نقص اللغة أو من وجود صعوبات لغوية تعوق عملية تواصلهم مع الآخرين.

وتستخدم رسوم الأطفال في تقدير الخصائص الشخصية والعقلية والانفعالية للأطفال العاديين والمتخلفين، ويكشف أيضا عن حالات الأطفال الأسوياء وغير الأسوياء، عن مراحل ارتقاء الطفل العامة والخاصة كما يعكس لنا القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد لأي جماعة بشرية.

فنون الطفل لغة عالمية يشترك فيها كل أطفال العالم من حيث رموزها التشكيلية والفنية، فهم يتحدثون لغة واحدة تختلف فقط في سماتها البيئية، والطفل بطبيعة الحال ممارس يومي لأنواع كثيرة من الثقافات، ولاسيما الموجودة في البرامج الإلكترونية، والتي باتت تشكل تعزيزًا لجوانب إثرائية معرفية، منها ما يتناسب مع ثقافتنا المجتمعية ومنها ما يفتح الآفاق أمام الطفل للتعرف على ثقافات الشعوب المختلفة من لغة ولباس ومأكولات في سن مبكرة.

للأطفال في كل مجتمع مفردات لغوية متميزة وعادات وقيم ومعايير وطرق خاصة في اللعب وأساليب خاصة في التعبير عن أنفسهم وفي إشباع حاجاتهم ولهم تصرفات ومواقف واتجاهات وانفعالات وقدرات، إضافة إلى ما لهم من نتاجات فنية ومادية وخصائص ثقافية ينفردون بها ولهم أسلوب حياة خاصة بهم وهذا يعني أن لهم ثقافة هي: (ثقافة الأطفال) وليس بالوسع تحديد أبعاد وخصائص ثقافات الأطفال في المجتمعات المختلفة لأن ثقافة الأطفال في مجتمع تختلف عنها في مجتمع آخر تبعًا لإطار الثقافة العامة وما يتبع ذلك من وسائل وأساليب في الاتصال الثقافي بالأطفال.

وأكدت أهمية تربية الطفل على تقبل التعددية بألوانها خصوصًا الثقافية، لأن الأطفال في كل أمة هم أساس المستقبل، ومحط الرجاء فيها، فأصبح الشاغل لدى كثير من العلماء والمفكرين والتربويين في مختلف دول العالم والحفاظ على هدفين أساسيين هما: الانتماء والاعتزاز بالهوية، والقدرة على التعامل الإيجابي مع حقيقة التعددية الفكرية والثقافية والسياسية.

---

[١]. خالد عبد اللطيف:٢٠١٧، الهوية الثقافية، جريدة دنيا الوطن، انظر:
https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/430606.html

كذلك تقف التربية الفنية اليوم أمام تيارات واتجاهات تشكل صورة التربية الفنية المعاصرة، الناتجة عن الخبرات التراكمية التي مرت بها مراحل تطور التربية الفنية لتشكل الثوابت في المجال، مع مواكبة التطورات والمستجدات في التربية والفن، فالعالم في تطور مستمر، حيث تظهر فيه نظريات، واختراعات، واتجاهات في كل مكان، والتربية الفنية تتأثر بالتيارات والاتجاهات في ميادين التربية والفن، وقد تشكل تلك التيارات والاتجاهات تحديات للفنانين ومعلمي الفنون.

فرسوم الأطفال فن مستقل بذاته ووسيلة من وسائل التعبير المتميزة بخصائص وسمات محددة، فكل أطفال العالم يشتركون في هذه السمات، والمقصود برسوم الأطفال، أنها تلك التخطيطات الحرة التي يعبرون بها عن عالمهم الداخلي فينقلونه على الورق أو على أي سطح اخر، فالطفل يعبر تلقائياً عن أفكاره وأحاسيسه ومشاعره، ولذلك يظهر في رسم الأطفال درجة تكيفهم من البيئة المحيطة وصراعهم من أجل هذا التكيف الذي ينجحون فيه أو لا ينجحون[١].

يرى بعض المفكرين أن رسوم الأطفال مسألة فطريه تلقائيه ويجب ألا يتدخل الكبار في تقويمها خشية أن ذلك يفسد مسارها، والبعض الاخر يرها كاى ظاهرة في نشاط الطفل لابد أن تقوم بضمان استمرار النمو التقدم[٢].وترى الباحثة ان هذه نظره ضيقه لفنون الطفل لدراستها من الجانب السيكولوجي بعيدا عن الجانب الفني والجمالي والنقدي.

وتعني رسوم الاطفال تربوياً كل الإنتاج التشكيلي الذي ينجزه الأطفال على أى سطح كان مستخدمين الأقلام والصبغات والألوان ولم تعد كلمة رسوم تقتصر على الرسوم الخطية ذات البعدين وإنما اتسع ليشمل كل تعبيرات الأطفال على المسطحات كالورق والجدران والأرصفة بصرف النظر عن الخامة المستخدمة .وتمتاز تلك الرسوم بسمات خاصة وتعمل على عكس سمات الطفولة بكل أبعادها الجسمية والنفسية والعقلية والأخلاقية في كل مرحلة من مراحل النمو وتدخل الأساليب التي يتبعها الأطفال في التعبير ضمن إطار هذه السمات والتي تمكن العلماء منذ بداية هذا القرن وقبله الإلمام بكثير منها .والنظرة السليمة لتلك الرسوم يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الروح الابتكارية لدي الأطفال التي تتحدي بها أفكار البالغين وابتكاراتهم في أحيان كثيرة، وبالنظر إلى سمات رسم الطفل ومظاهر التفكك والاستهتار أو العفوية وغيرها من المظاهر التي تبدو على رسم الطفل مثال للتخلف فإنها ذات فائدة كبيرة في تشخيص حالة الطفل ومعانته وكل ما يخالجه من مشاعر داخلية[٣].

وتحدث فرانز سيزك (Franz Cizek) عن رسوم الأطفال، بأنها ذلك التعبير الفطري أو التلقائي للأحاسيس الداخلية لهم من خلال خبراتهم المتصلة بالبيئة ويضم بذلك كل التعبيرات ذات البعدين وبكل الخامات شرط توافر القيم التشكيلية مثل التكوين، الوحدة، الاتزان، الإيقاع ... إلى غير ذلك. بينما يرى هاريس (Harris) أن الطفل يرسم "ما يعرفه لا ما يراه" وهو يرى من هذا المنطلق أن الطفل يرى الأشياء ويدركها بحواسه ثم يرسم ما ترسب في عقلة عن هذه الأشياء، وليس ما أمامه في الطبيعة أي كما يدركها هو في داخله حيث يحولها إلى موجزات شكلية واضحة في رسومه[٤].

---

[١]. اخلاص محمد عبدالحفيظ: ١٩٧٩، "القيم التجريدية في التصوير القديم والمعاصر وعلاقتهما برسوم الأطفال"، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الرسم والتصوير، كلية تربية فنية، جامعة حلوان، ص ١٧٩.

[٢]. محمود بسيوني: ١٩٨٧، "تحليل رسوم الأطفال"، ص ٢١٢.

[٣]. محمود حسن العطيفي: ٢٠١٣، "تطور فنون الأطفال والبالغين"، القاهرة، نشر خاص، ص ١٤.

[٤]. حسن الهجان: ١٩٩٢، "الدلالات الشكلية المميزة لرسوم الأطفال ما قبل المدرسة ذوي النشاط الزائد"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنيا.

ويتفق " شارل لالو" مع سابقيه بأن رسوم الأطفال هي مؤلفة تعتمد على الذاكرة أو التخيل دون نقل نموذجاً لتخطيط ذهني ونفعي، والطفل يرسم من الشيء ما يعلمه وما يستعمل منة أكثر مما يرى فيه[١].

أما "عبلة حنفي"، فقد اعتبرت الرسم أحد وسائل اللعب التي تعكس نفسية ومظاهر طفولته، لأنه يعبر فيه بأسلوب حر طليق يحمل كل أحاسيسه ومشاعره سواء قُبلت التعبيرات أو رفُضت من العالم الخارجي فتعبيراته لا تقوم بناءاً علي قواعد قوانين، كما أن رسوم الطفل تمثل حاجة ضرورية له لأنه يعبر من خلالها عن رغباته وحاجاته التي لا يستطيع التعبير عنها في الواقع، ولذلك فرغبة الطفل في الرسم ليست رغبة سطحية جوهرها التقليد، وإنما هي رغبة نابعة من رغبته في التعبير عن نفسه والتنفيس عن بعض مخاوفه وإسقاطها في رسومه التي تكون اقرب إلي روح الخيال منها إلي روح الواقع[٢].

ينما يري "مصطفي عبد العزيز" أن رسوم الأطفال في أحسن حالاتها هى تعبيرات ابتكاريه يقوم بها الأطفال. ويري "محمود العطيفى" رسوم الطفل تعبير تلقائي فطري من التخطيطات الحره تعكس أفكاره وانفعالاته وعالمه الخاص، فهي محصلة ما انطبع في ذهنه من مفاهيم وخبرات عن البيئة، ومن تعامله مع الآخرين، كما أنها لغة تعبيرية مرئية رمزية، يحاول بها التعبير عن تلك المفاهيم، شانها شأن الكلمات، كلغة ورسائل موجهة إلى العالم الخارجى، أو إلى نفسه، ويتضح من خلالها أن الطفل يرسم ما يعرفه لا ما يراه إلى أن ينمو وينتقل تدريجيا لواقعه ويرسم ما يراه. ويعرف "محمود العطيفى" رسوم الأطفال بأنها لغة عالمية يشترك فيها كل أطفال العالم من حيث رموزها التشكيلية والفنية تختلف فقط في سماتها البيئية، وهو بمثابة اللغة التي يتواصل بها الطفل مع الآخرين حينما لا يستطيع التحدث باللغة

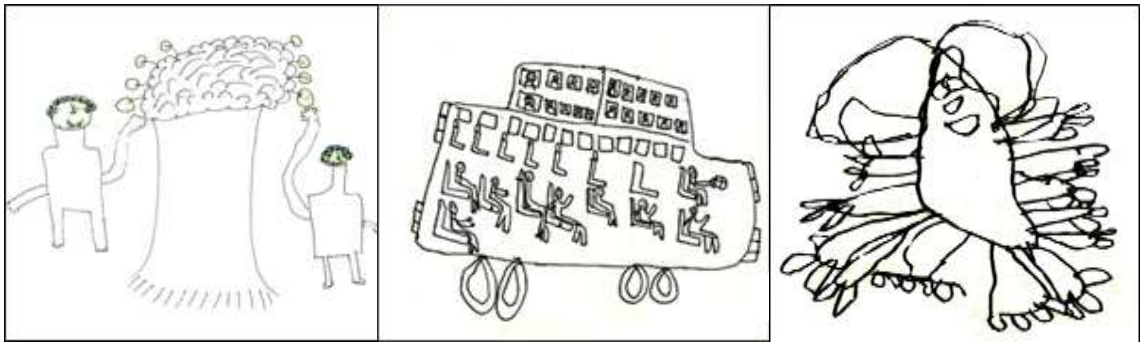

صورة ١

اللفظية، لينقل لنا أفكاره، وأحاسيسه وانفعالاته ومشاعره، فالرسم معنى عقلياً أكثر منه معني جمالياً، فهو لغة لمن يعانون من نقص اللغة، أو من وجود صعوبات لغويه تعوق عمليه تواصلهم مع الاخرين[٣].

الخصائص العامة لرسوم الاطفال:

التكرار في الرسوم:

[١]. شارل لالو: ١٩٨٠، "مبادئ علم الجمال"، ترجمة خليل شطا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص ٢٨.

[٢]. عبلة حنفي عثمان: ١٩٧٩، "الدلالات النفسية بين رسوم البنين والبنات في المرحلة الإعدادية"، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص ٨٨-٨٩.

[٣]. محمود حسن العطيفى: ٢٠١٣، "تطور فنون الأطفال والبالغين"، القاهرة، نشر خاص، ص ١٩.

وفى ذلك تفسر "عبلة حنفي عثمان" التكـــرار قائلـــة بـــأن التكـــرار المستمر في الرسوم من اتجاهات الطفل التعبيرية، ويرجع سبب ذلك التكرار إلى احساس الطفل بأنه أصبح قادراً على إجادة رسم بعض العناصـــر ممـــا يدعوه إلى المزيد من رسمها عدة مرات، وهذه الأشكال هي التـــي يحفظهـــا الطفل ويكررها من آن لآخر تعتبر رصيداً له يضاف إلى قاموسه الخـــاص الذي يخترق فيه الأشكال ثم يشكل منه تكويناته التي يريدها في المستقبل[١].

أما رأى "حمدي خميس" فإن تعبير الطفل عن الشجرة مثلاً قد أصبح رمزاً ثابتاً يكرره كلما طلب منه التعبير عن شجرة، والتكرار هنـــا مظهر من مظاهر النشوة والسرور، وذلك ما يســـمى بتكـــرار المـــدرك أو الموجز الشكلي للرسوم، والتكرار يثبت الطفل ويعطيه الثقة في أنه اكتسب المهارات اللازمة، إن التكرار موضوع يستحق التأمل فالإنسان اســـتطاع بالتكرار أن يبني أشياء كثيرة، فكل شيء يكرر أمامنا كالأشجار التي نغرسها في الشوارع، وأعمدة الإضاءة والمنازل.. وغيرها فتكرار العنصر في بعض الأحيان يعطي قيمة جمالية لبناء الصورة[٢].

المبـــــالغـــــــة:

أن الطفل يلجأ إلى المبالغة في رسومه عندما يتجه إلـــى التحريـــف بغرض التعبير وتكون المبالغة في بعض الأجزاء أو أعضـــاء أو عناصـــر رسومه وهو ما يرجع إلى رغبة الطفل في التأكيد على العناصر التي يبـــالغ في إظهارها بحجم أكبر من الأخرى دون التقيد بالوضع الطبيعي المـــألوف[٣].

وتذكر "عبلة حنفي" أن المبالغة ترجع نتيجة لخبرة الطفـــل بـــبعض الأشياء التي تمر به في حياته، فالصغير يرى في الكبار قوة بدنيـــة تفوقـــه، بالإضافة إلى ذلك خيال الطفل الطليق في مرحلة الطفولة الأولى يجعله قادراً على تصور بعض الصفات الخيالية على أنها واقعية وممكنة، وتضيف "عبلة حنفي" بأن عملية المبالغة لا ترجع إلى تفوقه في رسم بعض الأجـــزاء عـــن الأخرى وإنما ترجع إلى رغبة الطفل فى التأكيد على الأجزاء التي يبالغ فيها أو العناصر التي يكبرها وإهماله للعناصر التي يصغرها[٤].

الحذف:

إن الطفل يلجأ للحذف لكي يجسد فكرته التعبيرية إلى بعض التحريفات بإلغاء بعض الأجزاء لارتباطه بما يعرفه عن حقـــائق وليس إلى عدم قدرته على رسم الأجزاء، وعلى ذلك فالطفل عنـــدما يقـــوم برسم ما، فإنه يتعرض للناحية الوظيفية، فالأعضاء التي لا تؤدي أي وظيفة نجده يهملها ويحذفها، قد عبرت الطفلة عن هـــذا المظهـــر بحـــذف اليـــدين والاهتمام فقط بباقي التفاصيل، والعديد من الأطفال قـــد يرســـمون أجســـام الأشخاص بدون أرجل أو أذرع أو أي تفاصيل في الوجه[٥].

ظاهر التسطيح:

---

[١]. عبلة حنفي محمود: ١٩٨٠، "فنون أطفالنا"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

[٢]. حمدي خميس: ١٩٥٧، "الفن ووظيفته في التعليم"، دار المعارف، القاهرة.

[٣]. محمود البسيوني: ١٩٨٤، "سيكولوجية رسوم أطفال"، ط ٢، دار المعارف، القاهرة.

[٤]. عبلة حنفي: ١٩٨٠، مرجع سابق.

[٥]. عبلة حنفي: ١٩٨٠، مرجع سابق.

يتميز الطفل بالقلق وعدم الاستقرار وكثرة الحركة. ولا يتقيد بوضع معين فيحرك نفسه في كل الاتجاهات ويرسم صوره تجمع بين الأوضاع في وقت واحد فادا اراد الطفل ان يعبر عن عربه مثلا فنجده يرسم سطحها كما لو كان ينظر اليها من أعلى؛ فالطفل يستخدم التسطيح في التعبير بالرسم عما يعرفه.

خط الارض:

عندما يبدأ الطفل يعي علاقته بالبيئة فانه يضع كل الاشياء من منازل وأشجار على خط أرض واحد ليربطها ببعضها البعض.

الشفافية:

يقصد بالشفافية إظهار الطفل ما بداخل الأشـــكال المرســـومة مـــن محتويات والكشف عما يستتر خلف أسطح هذه الأشكال من خبايا لا يمكـــن رؤيتها.... ولرغبة الطفل في توصيل أفكاره التي يعرفها، وفيها يبدأ الطفـــل في إظهار بعض الحقائق غير المرئية وكأنها مرئية، مثال رسم الطفل السوق وبه الدكاكين تظهر ما بداخلها خلال الحوائط.

التماثل:

يرجع وجود ظاهره التماثل في رسوم الاطفال الي حساسيه الانسان بعامل الاتزان حيث ان تركيبه العضوي نفسه مبني على فكرة التماثل.

الجمع بين الأزمنة والأماكن المختلفة في حيز واحد:

وتعني الجمع بين الأحداث المختلة في مساحة واحدة حيث يرسم مشاهد القصة تجمعها مساحة واحدة تبدأ ببداية وتنتهي بنهاية وفقاً لتطور الأحداث.

بعثره الاشياء:

يبعثر الطفل الاشياء في رسومه وبالطبع لا يخضع لأي قيد أو قاعدة سوى رغباته.

وهناك العديد من الظواهر الاخرى التي تتضح في رسوم الاطفال مثل الخوف وتجاهل المنظور واستخدام الاشكال شبه الهندسية والمبالغة في الاحجام وغيرها من الظواهر المذكورة في الابحاث الأخرى[١].

وعند البحث في رسوم الأطفال والدراسة المستفيضة لها وجد علماء التربية الفنية المميزات المشتركة التالية:

- إن التخطيطات الأولى التي تصدر عن الأطفال في بداية سنهم لا علاقة لها بالأشياء المرئية، بل مجرد خطوط متنوعة يتسلى بها الطفل كواحدة من لعبه المختلفة.
- يرسم الطفل الأشياء التي يعرفها لا الأشياء التي يراها وذلك بعد المرحلة الرمزية.
- توجد علاقة مرتبطة بين أطفال العالم من حيث نمو الإدراك الكلي ونمو الذكاء العام في التعبير الفني.
- هناك اتفاق بين جميع الأطفال في الطريقة المتبعة في رسم الإنسان وإيضاح التفاصيل وإظهارها بصورة تدريجية.

[١]. اخلاص محمد عبدالحفيظ: مرجع سابق، ص.١٨٢-١٩٤

- أن فن الطفل لغة ووسيلة من وسائل التعبير وليس غاية للجمال.
- يعبر الطفل عن النسب في المرحلة الرمزية بمبالغة بعض أحجام الأجسام المهمة بالنسبة له: ويحذف التفاصيل التي ليس لها أهمية بالنسبة له.
- الأطفال المتأخرون في الرسم يكون مستواهم كمستوى الأطفال العاديين الذين هم اقل منهم سناً.
- الأطفال المتأخرون يجيدون النقل ويكونون اقل ذكاء من الأطفال المبتكرين.
- الأطفال الصغار لا يظهرون ميلاً نحو النماذج بقدر ما يظهرون من ميل ورغبة للأشياء التي تنبعث من الذاكرة.
- هناك اختلاف كبير بين رسوم الأطفال ورسوم الإنسان البدائي إلا أنها تتفق وتلتقي ببعض المظاهر.
- الأطفال في البداية لا يهتمون بالتفاصيل وتمثيل الفراغ والإبعاد ونسب الأجسام، بل تأتي هذه في فترة متأخرة.
- هناك ظواهر طبيعية تلازم رسوم الأطفال كالشفافية والحذف والمبالغة والإطالة والميل والتسطيح، وتختفي هذه في فترة متأخرة.
- توجد أنماط واتجاهات كثيرة في رسوم الأطفال ولكل طفل فرديته الخاصة في التعبير.
- أن رسم الأشخاص هو المفضل والمحبب لدى الأطفال وتأتي رسوم المنازل والأشجار بالمرتبة الثانية.

رسوم الأطفال بين العالمية والمحلية :

مهما اختلف جنسيات الأطفال وبيئاتهم ولغاتهم ودياناتهم وألوانهم فإن سمات رسومهم تعتبر عالمية، إن الأطفال لهم طرقهم المميزة في الرســـم يلجئون إليها وبدون توجيهات مسبقة، ذلك أن رسوم الأطفال جميعاً في أنحاء العالم تشترك في خصائص وسمات فنية وتعبيرية واحدة، تنطلق من طبيعـــة التكوين الجسمي والعقلي والوجداني للأطفال وفقاً لاختلاف أعمارهم ومراحل نموهم، لا لاختلاف أجناسهم وبيئاتهم، على أن السمات المحلية تتعلق بالملامح المميزة والمكتسبة من البيئة المباشرة والتي تحمل جذور ثقافة معينة لها ارتباط بعادات الشعوب وتقاليدهم والتي تنعكس في الملابس والمباني والطقوس الدينية، وفى الرمـــوز التي تظهر مواكبة للمواسم والأعياد والاحتفالات الشعبية وهنـــا يكـــون للطفـــل مفرداته وأسلوبه المميز في التعبير. فرسومه تحمل انعكاسات اقليمية وليـــدة تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها. وكذا تأثير الثقافة المحلية به ونوع الكتابـــة المقترنة التي يلجأ إليها، فكل لغة مكتوبة لها خصائص حينما تظهر مصاحبة للرسوم فتعطيها صبغة إقليمية مميزة بالمقارنة بغيرها من الرسوم في بلدان أخرى.

إن رسوم الأطفال المصريين هي انعكاس لشخصـــيتهم، ولثقـــافتهم البيئية، ولمستقبلهم فالبيئة تترك أثرها في نموهم، من حيث مظاهرها المادية، والاجتماعية، والثقافية، والتي لها تأثير مميز يختلف في جوهره ومظهره عن البيئات الأخرى[١].

وذلك من خلال الموضوعات التي تعالج، وأسلوب الأداء، وما تتميز به من سمات، وقد تتضح على سبيل المثال في شكل الفلاحة كما تبدو فـــي رسوم الأطفال كرافد من روافد الثقافة رسوم الأطفال المصريين بجلبابها الأسود الطويل الذي يضيق مـــن أعلـــى ويتسع إلى أسفل، ذو الأكمام الطويلة، وقد امتلأ بالزخارف المزركشة، وعلى رأسها طرحة، وقد التف حول عنقها عقد يزين رقبتها.

[١]. كوثر عماد احمد الصفتي: ٢٠١٩، "رسوم الأطفال كرافد من روافد الثقافة"، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة، العدد ٢٢ ابريل ٢٠١٩، ص١٣٥.

وإجمالاً لهذا فإنه يمكن القول بأن رسوم الأطفال هي فنون عالميـــة السمات محلية بما تعكسه من صور وأشكال بيئتها الخاصة. مما سبق يمكننا ان نقول ان ثقافة الشعوب تظهر بشكل واضح فـــي رسوم الاطفال ومن خلال الاهتمام بهذه الرسوم والتركيز على غـــرس وتعزيز القيم الوطنية والتأكيد على التراث والمورثات الحضارية القديمـــة فإنه يؤدى إلى إنتاج جيل يحمل ثقافة وطنه بشكل جيد.

التعددية الثقافية وتأثيرها في الهوية القومية:

يبدو أن هناك تأثيرا قويا للتعددية الثقافية في تشكيل التفاعلات الاجتماعية والسياسية بفعل بروز مفعول الهوية القومية واتخاذه أبعادا متصارعة حادة داخل المجتمعات فيما بينها، إن تلاشي الصراع الأيديولوجي، أحيا من جديد الهويات القومية والإثنية، وأعطى فرصة قوية لعودة النزاعات ذات طابع الهوية في زمن تعدد الهويات و انفجارها؛ ولتجنب السقوط في فخ الخيار بين هوية ثابتة منغلقة وهوية مشتتة بمرجعيات محددة، ينبغي إبداع فكر ديناميكي قادر على التفكير فوحدة المتعدد، وتعدد ما هو موحدة إلا إنه عادة، عند رؤية الوحدة، تكون هناك اراده لتوحيد كل شيء ويتم تجاهل التنوع، وعندما يكون هناك تعدد يتم استبعاد اى وحدة وتجانس. وهنا يتم بحث تأثير التعددية الثقافية على الهوية القومية وكيفية التأثير الإيجابي للتعددية في الهويات[١].

ومبدئيا، عند الحديث عن ماهية الهوية القومية: هي هوية الفرد وإحساسه بالانتماء للأمة، وهي الشعور بأمة متماسكة بالمجمل، ممثلة بتقاليد، وثقافة، وسياسات ولغة مميزة، حيث ينظر إلى الهوية القومية بأنها حالة نفسية من الوعي بالاختلاف شعور وتمييز لـــ(نحن) مقابل (هم)[٢].

وفي تشكيل الهوية القومية، يتشارك معظم الأفراد في صفات أو ولاءات جماعية معيلة، مثل الدين و الجنس والطبية والعرف و التقاليد والثقافة، حيث تساعد في تحديد الذات، وفي إحساسها بخصوصيتها، وعند التحدث عن الهوية القومية فالمعني هاهنا هو الاستمرارية أو الدوام اليقيني والوحدة الواضحة والوعي الذاتي؛ فمسألة الهوية القومية لها علاقة وثيقة بالهوية الشخصية فالهوية القومية تعلي مجموعة السمات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الأخرى، وتتمثل تلك الخصائص في اللغة والدين والتاريخ والتراث، والعادات والتقاليد والأعراف، وغيرها من مكونات الهوية.

ومن خلال التعددية الثقافية في المجتمع يمكن[٣]:

١. التعرف على الثقافات الأخرى في المجتمع: عاداتها، وتقاليدها، وقيمها.

٢. الاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى في المجتمع بانها مركب مهم، وجزء لا يتجزأ من المجتمع. الحوار يعطي المجموعات القدرة على التعرف على حقوقها.

---

[١]. رحاب هارون: مرجع سابق، ص ٣٥،٣٦.

[2]. Lee Yoonmi: 2012, "Modern Education, Textbooks, and the Image of the Nation: Politics and Modemization and Nationalism in Korean Education", Routledge, p.29.

[٣]. رحاب هارون: مرجع سابق، ص ٣٥.

٣. المساواة بين الثقافات المختلفة في المجتمع فلا يوجد مركز وضاحية في المجتمع، لا توجد هرمية وثقافة واحدة مسيطرة.

٤. الاحترام المتبادل بين الثقافات في المجتمع وتطور النقد الذاتي والتحقيق الذاتي للفرد والثقافة في المجتمع.

٥. إعطاء فرصة جديدة تضمن وتحقق الحريات والمساواة بين الثقافات المختلفة في المجتمع، مثل سن القوانين: "قانون اساسي احترام الإنسان وحريته" و "قانون أساسي حرية التشغيل والمهنة".

ويمكن استخلاص تأثير التعددية الثقافية في الفن التشكيلي عموما فيما يلي[١]:

- التعبير عن الموروث الحضاري بالاتجاهات الفنية المعاصرة.
- تعدد الرؤي الفنية بما يمكن الفنان من تقديم رسالة العمل الفني بصورة أكثر فاعلية.
- تغير نظرة الفنان وطريقة ترجمته لإحداث المجتمع والتفاعل معها عبر أعماله الفنية.
- تناول أفكار ثقافية متنوعة متعددة وصياغتها في عمل واحد.
- التعبير عن ايقاع الحياة والبيئة المحيطة وما استجد عليها من تطورات.
- تناول الفنان القضايا المحلية والقومية بصياغة تواكب حركة الفن العالمي.
- يعكس الفن دائما خلفيه ثوابت المجتمع ويتغير تبعاً للتطورات التي تطرأ عليها.
- الأعمال الفنية التي تتضمن رسائل صادقة وتعكس مضمونا علميا وخبرة وأثرا حضاريا وتاريخي تصل إلى أكبر قاعده من الجمهور وتستجيب لها مشاعرهم ووجدانهم ووعيهم الجمعي على المدي البعيد.
- الصيغة العالمية والعمومية للفن تعمل وسيلة اتصال بين العصور المتتالية والثقافات المتعددة وتتلاقى بها مجالات الفنون المختلفة.

الأسلوب الفني وتأثره بالبيئة الاجتماعية والموروث الحضاري:

تعد البيئة من العوامل المحيطة المهمة التي تؤثر بالفنان بشكل أو بآخر في تعزيز مدركاته الحسية حيث أن البيئة تشكل مصدرا ملهما للكثير من الأعمال الفنية وكذلك البيئة الاجتماعية هي التي تدعم وتعزز أفكار الفنان من خلال ما يقوم ويحور ويضيف ويأخذ من البيئة بشكل يشبه في ذهن المتلقي حالات مثيرة ممتعة. وحينما يتجه الفنان نحو إنجاز أي عمل فني يصب جل اهتمامه في التعرف على ما هو موجود في الطبيعة من ثم يتعرف على التكنولوجيا والتقنية والأداء لكي يمارس عمله الفني. إن الطبيعة هي المنبع الروحي للقواعد، والطبيعة قد تكون مماثلة في جسم الإنسان وعاداته وغرائزه، فلإنسان نفسه ظاهرة طبيعية من ظواهر هذا الكون الذي خلقه[٢]، وأن علاقة الإنسان ببيئته أو بالمكان بالمكان الذي يعيش فيه تجسد في أبسط صورها أنموذجا فريدا للانتماء إلى الطبيعة المألوفة لدينا، ويتمثل هذا في تطبعنا ببعض مظاهر الطبيعة الموجودة والمتشكلة في البيئة وهذه تعدها مضموناً فنياً وجوهرياً، إضافة إلى أنها تعبير عن علاقة البشر ببعضهم في مكان يصبح جزءا من العلاقة في زمان يؤكد موروثة الحضاري (تشكيل البيئة بمفهومها الطبيعي أو الجغرافي أساسا في تمييز الفنون حيث تأكد بالفعل تأثير عوامل البيئة والمناخ في ذوق الشعوب

[١]. رحاب عبد الفتاح عبد الوهاب هارون: مرجع سابق، ص٤٥.

[٢]. عبد الفتاح رياض: ١٩٨٦، "التكوين في الفنون التشكيلية"، دار النهضة العربية، ط ١، القاهرة، ص ١١.

وإبداعاتها)[١]. إن الفهم الخاص بهذه العلاقة يتحدد على أساس الانتماء للوجود الكلي للفرد، ويعد هذا مصدرا من مصادر التذوق الإجمالي انطلاقا من القيمة الأخلاقية في بيئة معينة.

العلاقة هنا أن الإنسان امتزج بالطبيعة، وقد أصبح الانتماء إلى الذات يقود الفرد إلى الطبيعة ومن ثم إلى الفن إنه انتماء للمكان الذي يشمل هذا كله ويجعله مرجعا للإبداع ومن ثم الحكم عليه، فالفن إذا لم يكن سوى تسجيل لمظاهر الطبيعة لكان أقرب تقليد هو أكثر الأعمال الفنية إقناعاً[٢].

إن الطبيعة هي التي تنعكس على الوجود الإنساني في شتى جوانبه تنعكس أيضا على الفن الذي يصور مظاهر الطبيعة مظاهر البيئة وما تتميز به هذه البيئة من مميزات تميز المجتمعات بعضها عن البعض الآخر وتتميز في أقاليمها الجغرافية.

لقد شكلت الكثير من المفاهيم والظواهر وقد شكلت عاملا مشتركا بين الإنسان ولو كان الذي يعيش فيه ومن هذا يجعد دور البيئة في الفن مؤشرا مهما على أن تتفاعل البيئات فيما بينها لتؤكد لنا شيئا مهما وهو الثقافة ، حيث البيئات الاجتماعية وما فيها من كل خصائص ومميزات أعطت تسليما بأن الثقافة والفنون وما في حكمها وليدة البيئة والإنسان معا، وأنها تتكيف وفقا للظروف الاجتماعية لكل جيل أو لكل حقبة زمنية[٣]، لهذا كانت ثقافة الفنان عاملا أساسيا في أن يتمكن من إدراك الأشياء والأحداث التي تحيط به وتواجهه في حياته العملية الفنية ومن خلال أفكاره وتصوراته وما ينتج عنها من قيم فنية وما سيتم فعله من خلالها لذا فالثقافة (ثقافة الفنان) تكتسب ديمومتها من خلال الصلة الوثيقة التي ترتبط بكل مظاهر وظواهر المجتمع وهذه الظواهر تعطي انعكاسات وتطورات تحدث نتيجة تحول اجتماعي في بيئة اجتماعية ترتبط بواقع الأمة بكاملها في ماضيها وحاضرها الفنان لابد من أن يفهم هذا الواقع ويركز على أبرز مظاهره الإيجابية وينطلق من مبادئ حيوية. ويجعلها ضمن حالة التوازن مع متطلبات البيئة الاجتماعية الجديدة ومفاهيمها الحديثة. فالثقافة أثر كبير في تعبير الفنان بالإضافة لكونها من الأسس الرئيسة للتطور الاجتماعي وانعكاسها يكون من خلال المتغيرات في النزعات والميول الخيالية التي تسببها في الاتجاهات الخطية الماثلة في تطور الأساليب الفنية، نضيف إلى أن التطور الاجتماعي واتجاهه العام يمكن أن يبقيا في تاريخ أي مجتمع أو حضارة محدودين وقد يحدث نوع التطور وسرعته من خلال التعبير الفني ومنطلقاته الجديدة[٤]، وبما أن الفن هو جزء من التطور الثقافي لكل فترة لها نمطها وأسلوبها ولكل حضارة خصائصها ومميزاتها ولكل فرد له تاريخ وله أسلوب خاص لذلك فإن تاريخه في الزمان والمكان هو جزء من التعبير الثقافي لذلك العصر. العلاقات مستمرة ما بين المجتمع والفرد وتشكلت لديه الثقافة من بيئته إذا هو المسؤول عن إبداع العمل الفني أيا كان نوعه ليعطيه إلى المستقبل ليعيد تكامل الفن، حيث يحتاج المستقبل إلى إعادة تكامل الفن كطريقة أسلوبية مستقلة للإدراك والتعبير، كمتلازم حسي، متساو، ومتناقض، للتجريدية الفكرية، يمكن للعناصر الفكرية الولوج داخل عقل الفنان، هناك تحصل على رموزها الحسية والموضوعية[٥]. هذه

---

[١]. جان برت يلي: ١٩٨٦، "بحث في علم الجمال"، ترجمة: أنور عبد العزيز، مراجعة نظمي لوفا، الجامعة المستنصرية، المطبعة المصرية، ص ٣٥-٣٧.

[٢]. هربرت ريد: د.ت، "معنى الفن"، ترجمة: سامي خشبة، مراجعة: مصطفى حبيب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص١٩٢.

[٣]. مونرو توماس: ١٩٧٢، "التطور في الفنون"، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (وآخرون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٢٥٨.

[٤]. نوري جعفر: ١٩٧٧، "الفكر طبيعته وتطوره"، منشورات مكتبة التحديد، الباب الشرقي، ط ١، بغداد، ص ٢٥٦.

[٥]. هربرت ريد: د.ت، "الفن والمجتمع" ترجمة: فارس متري ظاهر، دار القلم، بيروت، لبنان، ص ١٩٠.

الصور الذهنية المتلازمة بإحساس الفنان تستند على أساس فكري للتعبير عن المتغيرات والأحداث وتكون صور ذهنية وانطباعات ترتبط مباشرة بالبيئة ومن خلالها يتم تسجيل بما ينسجم مع ارتباطاتها وبصورة موضوعية، فالثقافة سواء أكانت مادية أم غير مادية فإنها تتغير حسب البيئة المحيط بها وقد يكون هذا التغيير جزئيا وكليا بما فيها الأشكال الفكرية والفلسفية والفنية[١]، حيث أن الشيء الأساسي العادي في الطبيعة والبيئة المحيطة بالإنسان هي الأشكال سواء كانت مطابقة أم غير مطابقة فإذا تطابقت كونت هناك مقارنات يستطيع بها الفنان أن يبرز المضمون الذي تولد من ثقافة بيئية لا يتعرض عليه المجتمع مطلقا بدليل أن الأشكال في الطبيعة تتفاوت موضوعاتها ويتم التعامل معها بمفاهيم طبيعة الإنسان وبيئته وفق الأشكال التي توافق العناصر العامة والضرورية لاستنباط مفاهيم فنية تكون البيئة هي المصدر الأول.

ولما كانت البيئة هي المصدر الأول، بل والمتقدم للشكل وبمعنى أنها أم الأشكال لكن ذلك يجعلها أمام حالتين شكل يطابق بيئته وشكل لا يطابق، شكل يتشابه أصله البيئي، شكل لا يشابه أصله البيئي، شلك يشابه ويطابق أو يماثله مزيجا من عدة أشكال بينية.

عند هذه الحالة يمكن للبيئة تتحول إلى وسيلة لإجراء مقارنات، وقد يرى البعض أن ما بعد المتغير الشكلي البيئي ثم المقارنة أو التفاوت أو التباين.. أي بمعنى الكشف التحليلي لما بعد الشكل الطبيعي ويمكن أن يصبح هذا، على ألا تخطئ الأول[٢].

وقد أتفق مع الرأي على أن تعود الإنسان على بيئة معينة تختلف عن البيئات الأخرى، فإن اختلاف البيئة من مكان إلى مكان يصاحب ذلك تقلبات وظروف مناخية طبيعية ذات مكونات مختلفة وكذلك أن البيئة بها كائنات من حيوانات وطيور ومظاهر قد تكون ذات تأثيرية مباشرة على الفنان. أثر هذا كله في عادات وحياة الشعوب وتقاليد ونظمها ثم انعكس ذلك على الفنون التي تمايزت من شعب إلى شعب ومن جنس إلى جنس تبعا لهذا التمايز، وللسبب نفسه أصبح بمقدورنا التميز بين فنون آسيا وأفريقيا.. استناداً لهذا المبدأ وفي شتى أنواع الفنون[٣]. وقد استفاد الفنان من مظاهر الطبيعة المتمثلة بالبيئة الأبعاد الروحية والشكلية حيث كشفت البيئة الاجتماعية تأثيرات أساسية تدخلت حتى في اختيار الإنسان لما يرتديه من لباس وكذلك من مسكنه وطبيعة عيشه وهذا أدى إلى أن يبلور الأشكال التقليدية المعروفة ويسقطها على المنجز الفني في عمل إبداعي يميزه في بيئته الاجتماعية، والأشكال المعمارية والنحتية أو الصور الجدارية، أما أن ترتبط بحياة الإنسان وسلوكه وتتكون أشكالا متطورة مع الفنان تنزع إلى ذاتية طموحه في الصياغة والتكوين مستندة، أما إلى فكر ذاتي أو مدرسة فنية معينة ينطلق منها الشكل[٤].

وإذا الفنان من خلال نشاطه الذهني وفكره عليه أن يخاطب الناس من خلال ما يقدمه من إبداع بلغة الكل وأن يجيب وفق ما يقدمه من دلالات تعبيرية وفق ما أعده ووظفه بأسلوبه ونمطه الخاص الفردي الذي تمتع به، وبهذا فإنه يضيف إلى فكره وذهنه ويخوض عدداً من التجارب ليتوصل إلى مرحلة تجعله يفتح أفاقا جديدة هو يختاره ولا يبتعد عن مدرسة فنية تتفاعل مع مراحل يستمد روحية هي موجودة أساسا في كثير من الفنون العربية والإسلامية وكانت متخمة

---

[١]. وسماء حسن الأغا: ٢٠٠٠، "الواقعية التجريدية في الرسم العراقي المعاصر"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ٤٤٣.

[٢]. عزام البزاز: ١٩٩٩، "التحليل والتصميم"، وزارة الثقافة والإعلام، المطبوعات، ص ٨.

[٣]. عز الدين إسماعيل: ١٩٧٤، "الأسس الجمالية في النقد العربي"، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٦٣.

[٤]. فرج عبو: ١٩٨٢، "علم عناصر الفن"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، طبع في دار لين، إيطاليا، ص ٢٣٦.

بالأشكال الكثيرة التي تحمل معاني فيها الكثير من الدلالات الرمزية والتأملية ساعدت الفنان على أن يحفز مدركاته. فمن خلال إيجاد الرمز ما بين الظواهر الطبيعية والاجتماعية ومن أجل خلق عنصر الإبداع والابتكار حيث يتم من خلال تحديد الصورة الفنانين عدة تعديلات وتحويرات يتعاقب فيها الحذف والإضافة حتى يصبح عملا يتمثل فيه الخلق والإبداع[١].

لذا فإن البيئة الاجتماعية لها أهمية كبيرة في بلورة أسلوب الفنان وتعتبر من الأمور المهمة التي شغلت نفعية الفنان لأنه عايش واحتك بالبيئة طيلة فترة حياته ومن خلالها يسمو بأفكاره وطرق أدائه وأسلوبه الفني الذي اعتبر العنصر الأساسي في الفن من خلال ما مثلته البيئة من أرضية مشتركة تفاعل فيها سائر البشر على الرغم من تعدد المظاهر والمتغيرات، هناك سمات وملامح رئيسية تشكلت من خلالها فكرة الجمالية التي تجسدت في روح الحضارة العربية والإسلامية وفلسفتها في إطار عام ارتكز على ثلاث قواعد رئيسة مهمة أثر البيئة الاجتماعية الأساس العقائدي الروحي والشكل التعبيري للمضمون، وأول سمات هذه الإبداعية تتمثل في التلاحم بين المضمون الروحي وملامح البيئة[٢]، والخصائص في الإبداع تمثلت بتلاحم المضامين العقائدية والروحية للفنان وملامح بيئته التي انتمى إليها بعد اكتمال عناصر البيئة الاجتماعية التي فرضت نفسها في الكثير من الاستخدامات وكذلك وجود مظاهر الطبيعة المختلفة في التعبيرات الفنية التي أعطت قيمة جمالية هدف الفن إلى تحقيقها وهو هدف إنساني ووسائل تحقيقها يتحكم بحكم التاريخ والعامل الحضاري والبيئة وغيرها مما جعل التراث متعلقا بإنتاج الحضارات وحضارة وادي الرافدين ووادي النيل والحضارة العربية الإسلامية وحضارة الفن الأوربي القديم خير دليل على أن تعطي قيمة جمالية هدف الفن أن يحققها من خلال الموروث الحضاري[٣]، وفيها نظم وقوانين وطقوس وتقاليد تكون فعاليات يبحث عن الفنان في عصر وفي كل مكان باعتبارها وصفا جوهريا تعطي مفاهيم جديدة للفنان المعاصر ليس من أجل أن يقوم بتقاليدها وإنما من أجل أن يستفيد منها بطريقة الإدراك ويستنبط منها ما يراه مناسبا لأن يصيغ أفكاره ويسقطها في عمله الفني أو منجزه التشكيلي؛ لذا فقد تعد مصدر إلهام الفنان في كثير من موضوعاته وأشكاله في مختلف الفنون في أنحاء العالم التي أحدثت تأثيرا كبيرا في المدارس الفنية المعاصرة[٤].

هذا كله له تأثير فعلى وكون مزاوجة حقيقية بين الأسلوب والمجتمع التي يخاطبها وهذا يتفق مع قول شارل لالو "إننا لا نذكر خصب التأثيرات الدولية في تاريخ الفن، ولكن هذا التأثير لا ينجب سوى ضروب من التداخل المصنوع السطحي والتراصف العقيم بدل التمثيل[٥]".

عادة الفنان يستمد من تراثه والواقع الذي يعيش فيه سواء كانت قرية زراعية أو مدينة أو حتى منطقة الصحراء والبادية الغربية مواضيع ومفاهيم تكون إشارة وعوامل ورموزا يتعامل بها مع المجتمع وهو تعامل مع طبقة ذات هوية تاريخية ذات مفهوم انبعاثي ينطلق من نظرة علمية تربط بين الماضي والحاضر[٦]، هذه النظرة تدفع الفنان أن يحول

---

[١]. حسن محمد حسن: د.ت، "مذاهب الفني المعاصر والرؤية التشكيلية للقرن العشرين"، دار الفكر العربي، ص ١٣١.

[٢]. زكي نجيب محمود:١٩٨٢، "الشرق والفنان"، دار العلم، القاهرة، ص ٥٠٤.

[٣]. حسن محمد حسن: مرجع سابق، ص ٢١.

[٤]. عزالدين إسماعيل: مرجع سابق، ص ٦٣.

[٥]. شارل لالو: د.ت، مبادئ علم الجمال، ترجمة: مصطفى ظاهر، دار إحياء، ص ٢٥٥.

[٦]. جون ديوي: ١٩٦٣، "الفن خبرة"، ترجمة: زكريا إبراهيم، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، مصر، ص ٣٥،٣٦.

ويترجم الخبرة والمؤثرات الخارجية التي يدركها بعينة وعقله إلى شكل فني بعد أن تفحص وتعمق في الحقائق لكي يستلهم ما هو جديد ويعدل ويضيف ليكون بذلك رؤية بها خيال ناتج عن خبرة وتنظيم للأفكار فهو بذلك لم يتفاعل مع البيئة فقط، بل صب بها أحاسيسه الذاتية، ولذلك نجد أن لكل فنان طابعا خاصا يميز عمله من أعمال الآخرين، والحضارة لا تقتصر على التفاعل مع البيئة المحيطة بها بل بما أسفرت عنه الحضارات السابقة لها[١]، التفاعل مع الحضارات استلهام المفاهيم بروح عصرها وأسمى سماتها والتفاعل معها بأسلوب نستطيع أن نعزز من المفاهيم لتصل بذلك إلى قيم جديدة متطورة، تعبر عن منطلقاتنا الفكرية وسياسيا المتصلة بها ومن الأمور المركزية في مجتمعنا والمؤثرة في خلقنا وتراثنا وتقاليدنا هو الماضي بكل ما يحمل من عوامل الحياة وتقاليدها وقوانينها.[٢]

وبما أن الطبيعة هي منبع الإلهام الفني وبهذا تكون أسلوبا خياليا مثاليا استخدمه الفنان وبنى عليه الواقع بعد أن أستخدم الأصل وحققت به عملا فنيا يعبر عن غاية مثالية خيالية تعتمد أساسا على الرؤية الخاصة بالإبداع بوصفه استجابة ذاتية لحافز موضوعي ثم بوصفه تراثا موحدا لكل حالة تاريخية أو انعكاس له في صورته الفردية في الواقع الفني وفي كافة مجالاته الإبداعية.

وبهذا يستطيع الفنان في أي عصر أن يقوم لعملية الابتكار الفتي التي يستخرجها من معالم تراثه ورموزها حيث يمتلك الفنان الرؤية العصرية المتطورة التي تحمل سمات أصلية تكمن في أساسها المضمون والمحتوى والشكل والأسلوب والتقنية حيث يصبح التعبير أكثر شمولا، صحيح أن العمل الفني ينتهي عند قناعة مبدعه به ولكنه كذلك على تقبل الآخرين له حتى يبرز ويصبح أثرا فنيا حقيقيا يفسر على أنه وحدة كلية تشكلت من العناصر التي ارتبطت بعلاقات ضرورية في العمل الفني سواء أكانت ذاتية أم موضوعية (ضرورة ذاتية ممثلة تمثيلاً موضوعياً على أساس افتراض معنى مشترك)[٣].

الإطار التطبيقي:

إعداد نموذج نقدي قائم على معايير التعددية الثقافية:

تم استخلاصه من سمات التعددية الثقافية في الفنون المحلية، أو من الثقافات الواردة وأثرها في أعمال الأطفال في البينالي، بهدف الكشف عن سمات الهويات والثقافات المختلفة التي اتسمت بها هذه الاعمال الفنية والتي ساهمت في تقديم أعمال فنية ذات طابع جمالي يجمع بين المحلية والعالمية، بهدف إيجاد مدخل نقدي جديد، وقد استمد النموذج المقترح أهدافه من محاور أساسية عدة، وهي:

- نتائج دراسة سمات الهوية والتعددية الثقافية في الفنون المحلية والمصرية المعاصرة.
- نتائج دراسة سمات الهوية والتعددية الثقافية في الفنون العالمية.
- نتائج مقارنه الثقافات المختلفة من خلال دراسة الاعمال الفنية الخاصة بكل ثقافة.

أهداف النموذج النقدي:

---

[١]. آرنست فيشر: ١٩٧١، "ضرورة الفن"، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص ٥٣.

[٢]. عبد الكريم هلال خالد: ١٩٩٨، "الاغتراب في الفن - دراسة في الفكر الجمالي المعاصر"، جامعة خان يونس، ط ١، بنغازي، ص ٣.

[٣]. شارل لولا: مرجع سابق، ص ١٠٠.

١. تحرير الفن من النظرة أحادية الجانب، وتنوع مصادر الرؤية للعمل الفني من خلال التعددية الثقافية.

٢. الأعمال الفنية تتميز بالدمج بين سيطرة الهوية والتلقائية في التعبير.

٣. العمل الفني وسيلة لعرض أشكال وقضايا المجتمع المحلي والاقليمي والعالمي.

٤. إيجاد مدخل جديد لدراسة فنون الأطفال من الناحية الجمالية والفنية بعيداً عن الناحية السيكولوجية أو التعليمية.

تحليل بعض من نماذج رسوم الاطفال المشاركه في بينالي الطفل الدولي:

حيث جاءت الدورة التأسيسية الاولي بعنوان "مكاني المفضل" محملة بتعبير أطفال العالم عن المفهوم الموسع للمكان، ويعبرون بذلك عن علاقتهم بالأمكنة وأفضلياتهم منها فتفتح لديهم حاسة التأمل والاختيار والشغف ثم ترجمتها تعبيرياً، كي تؤسس للوعي بالأماكن التي تحيط بهم بقدر من الحميمية.

نماذج مشاركة من التشيك:

صورة ٢: نماذج مشاركة من التشيك

يتضح من خلال النماذج السمات والخصائص العامله لفنون الاطفال من تسطيح وشفافية وبعثرة الأشكال في بناء التكوين وغيرها .... ولكن اتضحت أكثر أثر البيئة المحيطة والثقافة المجتمعية والتأثر بطبيعة المناخ لدولة التشيك والضبابية في الأعمال واستخدامهم لعناصر معمارية أو زخرفيه من تراث بلدهم.

صورة ٣: نماذج من رومانيا

نماذج مشاركة من رومانيا:

تظهر الخصائص العامة في رسوم الاطفال مع وضوح تأثرهم بالبيئة والطبيعة الرومانية النباتية، وأيضاً استخدموا ألوان جريئة في التعبير بقوة عن موضوع أعمالهم.

صورة ٤: نماذج من الصين

ماذج مشاركة من الصين:

يلاحظ في النماذج مدي تأثر الاطفال بتراثهم الحضاري وثقافتهم وطبيعة معيشتهم حيث عبروا عن هويتهم من خلال استخدمهم لأسلوب الرسوم المتحركة الصينية واليابانية (الانمي) وذلك في رسوم الشخوص وكذلك استخدموا اشكال المنازل التقليدية الشعبية وزخارفها والزي التقليدي الشعبي للصين.

نماذج مشاركة من كوريا:

صورة ٥: نماذج من كوريا

عبر الاطفال عن ذويهم بطريقه بسيطة وسلسلة يظهر من خلالها هدوء البيئة المحيطة بهم، وايضاً من خلال رسمه لملامح الوجوه القريبة من الواقعية واستخدام الملابس اليومية البسيطة، وكذلك اوضاع التصوير الفوتوغرافي المشهورة لدى الكوريين.

صورة ٦: نماذج من الكويت

نماذج من الكويت:

اهتم الاطفال برسم الموضوعات القومية والاجتماعية الحياتية بالكويت وعبروا عن شكل ثقافتهم وبيئتهم من خلال شكل المنازل من الخارج والداخل والنماذج المعمارية المشهور بها بلدهم وأيضاً، استخدام الملابس التقليدية العربية وضع علم الكويت للتأكيد على هويتهم.

صورة ٧: نماذج من السعودية

نماذج من السعودية:

عبروا في اعمالهم عن الطبيعة الجغرافية والمناخية في السعودية من مناطق صحراوية مشمسة وشواطئ، واستخدام الجمال في الصحراء.

نماذج من مصر:

صورة ٨: نماذج من مصر

أثر البيئة المصرية يظهر في رسوم الاطفال من خلال اختيار الموضوعات وأشكال التعبير عنها والتأثر بزيارة الأماكن الأثرية والتاريخية واستخدام الزخارف والملابس الشعبية البسيطة النابعة من البيئة المصرية وكذلك تمثيل الموضوعات الحياتية المعروفة للعامة.

عمل مشترك لطلاب من المدراس المصرية والمدارس الألمانية:

نتائج البحث:

١. فنون الأطفال، فنون فطرية وتلقائية؛ لذلك يظهر بها درجة كبيرة من تأثرهم بالبيئة المحيطة والعادات العامة.

٢. تشترك رسوم الأطفال باختلاف هويتهم وثقافتهم في الخصائص العامة والسمات الأساسية لفنون الأطفال، وتختلف في أشكال التعبير واستخدام العناصر المرتبطة بهويتهم وبيئتهم.

٣. التنوع الثقافي والمشاركة الفنية من الهويات المختلفة يؤدي إلى تعزيز هوية الطفل وتقبل الاخر.

٤. من خلال قراءة وتحليل اعمال الأطفال المشاركين، يتضح من مدي تأثر الأطفال بهويتهم والبيئة المحيطة اشكال الثقافات والعادات والتقاليد المختلفة التي تتميز بها كل جماعه عن غيرها.

٥. للتعددية الثقافية سمات يمكن استخلاصها من الدراسة المقارنة بين السمات المحلية والعالمية للفن.

المراجع:

المراجع العربية:

- أحمد عبدالحفيظ محمد: ١٩٧٧، "تأثير رسوم الأطفال في أساليب التصوير الحديث وأهمية ذلك في التربية الفنية"، رسالة ماجيستير، غير منشورة، قسم الرسم والتصوير، كلية تربية فنية، جامعة حلوان.
- اخلاص محمد عبدالحفيظ: ١٩٧٩، القيم التجريدية في التصوير القديم والمعاصر وعلاقتهما برسوم الأطفال، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الرسم والتصوير، كلية تربية فنية، جامعة حلوان.
- آرنست فيشر: ١٩٧١، "ضرورة الفن"، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
- أندريه لالاند: ٢٠٠١، "موسوعة لالاند الفرنسية"، تعريب: خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت، الطبعة الثانية، باريس، فرنسا.

- جان برت يلي: ١٩٨٦، "بحث في علم الجمال"، ترجمة: أنور عبد العزيز، مراجعة نظمي لوفا، الجامعة المستنصرية، المطبعة المصرية.
- جون ديوي: ١٩٦٣، "الفن خبرة"، ترجمة: زكريا إبراهيم، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، مصر.
- حسام الدين علي مجيد: ٢٠١١، "إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر – جدلية الاندماج و التنوع"، مركز الدراسات العربية، الطبعة الاولى، بيروت.
- حسن الهجان: ١٩٩٢، "الدلالات الشكلية المميزة لرسوم الأطفال ما قبل المدرسة ذوي النشاط الزائد"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنيا.
- حسن محمد حسن: د.ت، "مذاهب الفني المعاصر والرؤية التشكيلية للقرن العشرين"، دار الفكر العربي.
- حمدي خميس: ١٩٥٧، "الفن ووظيفته في التعليم"، دار المعارف، القاهرة.
- رحاب هارون: ٢٠١٧، "تغير قيمة التعددية الثقافية في نقد الحركة الفنية المصرية المعاصرة – دراسة نقدية"، رسالة ماجيستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
- زكي نجيب محمود:١٩٨٢، "الشرق والفنان"، دار العلم، القاهرة.
- شارل لالو: ١٩٨٠، "مبادئ علم الجمال"، ترجمة: خليل شطا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- شارل لالو: د.ت، "مبادئ علم الجمال"، ترجمة: مصطفى ظاهر، دار إحياء.
- عبد الكريم هلال خالد: ١٩٩٨، "الاغتراب في الفن – دراسة في الفكر الجمالي المعاصر"، جامعة خان يونس، ط ١، بنغازي.
- عبد الفتاح رياض: ١٩٨٦، "التكوين في الفنون التشكيلية"، دار النهضة العربية، ط ١، القاهرة.
- عبلة حنفي عثمان: ١٩٧٩، "الدلالات النفسية بين رسوم البنين والبنات في المرحلة الإعدادية"، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
- عبلة حنفي محمود: ١٩٨٠، "فنون أطفالنا"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- عز الدين إسماعيل: ١٩٧٤، "الأسس الجمالية في النقد العربي"، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عزام البزاز: ١٩٩٩، "التحليل والتصميم"، وزارة الثقافة والإعلام، المطبوعات.
- محمود حسن العطيفى: ٢٠١٣، "تطور فنون الأطفال والبالغين"، القاهرة، نشر خاص.
- فرج عبو: ١٩٨٢، "علم عناصر الفن"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، طبع في دار لين، إيطاليا.
- كوثر عماد احمد الصفتي: ٢٠١٩، "رسوم الأطفال كرافد من روافد الثقافة"، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة، العدد ٢٢ ابريل ٢٠١٩.
- محسن محمد عطية: ٢٠٠٠، "الفنون والإنسان"، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمود البسيوني: ١٩٨٤، "سيكولوجية رسوم أطفال"، ط ٢، دار المعارف، القاهرة.
- محمود بسيوني: ١٩٨٧، "تحليل رسوم الأطفال".
- مونرو توماس: ١٩٧٢، "التطور في الفنون"، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (وآخرون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- نوري جعفر: ١٩٧٧، "الفكر طبيعته وتطوره"، منشورات مكتبة التحديد، الباب الشرقي، ط ١، بغداد.

- هربرت ريد: د.ت، "الفن والمجتمع" ترجمة: فارس متري ظاهر، دار القلم، بيروت، لبنان.
- هربرت ريد: د.ت، "معنى الفن"، ترجمة: سامي خشبة، مراجعة: مصطفى حبيب، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- وسماء حسن الأغا: ٢٠٠٠، "الواقعية التجريدية في الرسم العراقي المعاصر"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

المراجع الأجنبية:

- Lee Yoonmi: 2012, “Modern Education, Textbooks, and the Image of the Nation: Politics and Modemization and Nationalism in Korean Education”, Routledge.
- Luí s Cordeiro Rodrigues: 2014, “Multiculturalism”, Internet Encyclopedia of Philosophy.
- Samuel P. Huntington: 1996, "The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order", Simon and Schuster, New York.

المراجع الإلكترونية:

- الثقافة والهوية، انظر: https://shorturl.at/jqJU5
- خالد عبد اللطيف: ٢٠١٧، الهوية الثقافية، جريدة دنيا الوطن، انظر: https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/430606.html
- صابر أحمد عبد الباقي دكروري: ٢٠٠٩، "المواطنة في إطار التعددية الثقافية"، انظر: shorturl.at/cqtSZ
- عبد العليم محمد إسماعيل: الهوية الثقافية، انظر: https://shorturl.at/fiprZ
- معجم المعاني الإلكتروني، انظر: https://shorturl.at/bjsIK